## اولاً: اسرة فالوا والبوربون

تولى فرنسوا الاول عرش فرنسا عام ١٥١٥ وقد تزوج كاترين دي مدتشي Chatherine de Medici وكان يتطلع الى غزو ايطاليا فقام بأعداد جيش كبير لغزو ميلان، وتعارضت رغبته مع رغبة شارل الخامس الذي ورث عن اجداده عرش اسبانيا وانتخب امبراطوراً للدولة الرومانية فقامت الحرب بينهما اربع مرات. وادى ذلك في النهاية الى نفوذ اسرة هابسبرج Hapspurg إيطاليا.

واعقبه هنري الثاني (١٥٤٧-١٥٥٩) ثم خلفه ملوك صعاف هم فرنسوا الثاني وتوفي بعد سنة من حكمه اي في عام ١٥٦٠ ثم شارل التاسع (١٥٦٠- ١٥٧٤) وكان عمره لا يزيد عن عشر سنوات، ولذلك فان السلطة الفعلية في عهدهما كانت في يد امهما كاترين دي مدتشي التي حكمت نيابة عن ابنها شارل التاسع حتى بلغ سن الرشد. وجاء بعده هنري الثالث (١٥٧٤- ١٥٨٩) الذي لم يظهر اثناء حكمه اي دليل على كفاءته السياسية بل انه كان ملكاً طائشاً يحب اللهو والتزين بالحلي والاقراط الذهبية.

وكانت كاترين دي مدتشي زعيمة الكاثوليك بعد وفاة زوجها فرنسوا الاول، وقد ناوأتها في الملك اسرة البوربون Bourbon واسرة جيز Guise واتخذ النزاع بينهم شكلاً دينياً مروعاً كاد يمزق وحدة الامة فقد كانت اسرة جيز تناضل عن الكاثوليكية. اما الاسرة البوربون فكانت تثبيت اركان الاصلاح الديني في فرنسا. وقد منحت كاترين الهيجونوت بعض الحرية الدينية عام ١٥٦٢ فصرحت لهم بالتعبد على مذهبهم في اماكن معينة خوفاً من اسرة جيز. وبعد عشر سنوات اي في عام ١٥٧٢ دبرت الملكة مع اسرة جيز مذبحة سانت برثليمو Saint Bartholmow حيث انقض الكاثوليك على الهيجونون وفتكوا بهم وذلك لتخوف الملك من اتساع نفوذ اسرة البوربون.

وفي عام ١٥٧٤ غضبت الملكة على اسرة جيز فمنحت الهيجونوت حقوق اخرى عام ١٥٧٦ سمحت لهم بإقامة شعائرهم الدينية في اي مكان شاءوا بشرط ان يكون ذلك على بعد فرسخين من باريس، مما اثار ذعر الكاثوليك فجاهروا بالعصيان وبادلوا العرش الكراهية والعداء، وفي خلال ذلك امر الملك هنري الثالث بقتل عميد اسرة جيز وزعيم الكاثوليكية وعقب ذلك قررت العصابة عزله واثناء سياحته قتله احد الرهبان عام ١٥٨٩.

## ثانياً: الملك هنري الرابع (١٥٨٩- ١٦١٠)

بعد وفاة كاترين عام ١٥٨٩ ومقتل ابنها هنري الثالث دون ان يكون له وريث للعرش انقرض فرع اسرة فالوا، ومن ثم فقد آل العرش الى اسرة البوربون لقرابتها منها حيث تولى زعيمها البروتستنتي هنري اف نافار Hennry of Navarre عرش فرنسا، واضطر الى اعتناق المذهب الكاثوليكي وذلك عام ١٥٩٤، ثم منح الهيجونوت مرسوم نانت عام ١٥٩٨ وبموجبه تمتعوا بعدد من الحقوق وهي:

١- الحرية الدينية وحق التعبد في معظم جهات فرنسا.
٢- حق محاكمتهم امام محاكم بها قضاة بروتستنت وان ترد لهم جميع الحقوق المدنية.
٣- حق عقد الاجتماعات الدينية والسياسية بأذن من الملك.
٤- صارت لهم بعض البلاد واشهرها لاروشل La Rochselle.

وبذلك اصبحوا في الواقع بمثابة حكومة داخل الحكومة. وقد حكم هنري الرابع فرنسا خمس عشرة سنة حكماً مطلقاً لا ينازعه احد. وكان وديع الاخلاق باسلاً ذكيا محبوبا لدى اتباعه. وقد اكتسب باعتناقه للكاثوليكية حب الشعب الفرنسي. واستعان بوزيره سلي Sully وقام بتطهير جميع فروع الادارة

من الشرور والآثام التي لحقت بها، وانعش الحالة المالية في البلاد وتمكن من تسديد الكثير من ديونها، واصلح الزراعة واهتم بالصناعة مما هيأ لفرنسا مكانة لائقة بين الدول الاوربية.

واعتمدت سياسة هنري الرابع الخارجية على مناوئة اسرة هابسبرج في النمسا والقضاء على سيادتها كيما تستطيع فرنسا ان تظهر عليها في كل اوروبا، ولكنه قتل غيلة في مايو سنة ١٦١٠ وهو يستعد لسن الغارة على الامبراطور. ويعتبر هنري الرابع اول ملوك اسرة البوربون.

## ثالثاً: الملك لويس الثالث عشر (١٦١٠- ١٦٤٣)

صارت ماري دي مدتشي Mary de Medici زوجة هنري الرابع وصية على ابنه القاصر لويس الثالث عشر بعد وفاته. وقد سارت على غير السياسة التي اتبعها زوجها، وفي عهدها تولى ريشليو الوزارة فجمع السلطة كلها في يده، وسار على نهج هنري الرابع حتى جعل فرنسا من اقوى دول اوروبا. وقد عين رئيسا للوزراء عام ١٦٢٤، واخذ يدي شؤون فرنسا قرابة ثمانية عشر عاما كان في خلالها القطب الذي تدور حوله رحى السياسة الاوروبية، وقد تزوج من آن النمساوية عام ١٦١٥.

### ☒ سياسة ريشليو الداخلية

اتبع ريشليو سياسة داخلية تهدف الى تركيز السلطة كلها بيد الملك وزيادة نفوذه داخل البلاد وخارجها. وقد اتبع الخطوات التالية لتنفيذ تلك السياسة:

١- **اخضاع الهيجونوت:** رأى ريشليو ان بقاء الهيجونوت متمتعين بالامتيازات التي حصلوا عليها وبخاصة مرسوم نانت سن ١٥٩٨ عبء يعوق توحيد فرنسا سياسياً تحت سلطان الملك فأخذ في محاربتهم للقضاء على سلطانهم السياسي وجردهم من كل قوة حربية واستولى على حصونهم وابقى لهم حريتهم الدينية.
٢- **اضعاف الاشراف:** لما كان الاشراف هم اكبر منافس للملك في فرنسا فقد عمل ريشليو على تجريدهم من كل سلطة، وحرم عليهم المبارزة وهدم حصونهم فيما عدا اللازم لحماية المملكة ولم تأخذه بهم شفقة او رحمة فعاقب غير المخلصين للملك وانتزع السلطة من ايديهم في المقاطعات وجعلها في ايدي مراقبين يعينهم الملك ويستمدون نفوذهم من الحكومة، واوكل لهم جمع الضرائب وتنفيذ القوانين والمحافظة على الامن فصاروا اداة صالحة للحكم في الاقاليم.
٣- **القضاء على الانظمة النيابية:** قام ريشليو بالقضاء على مجلس طبقات الامة الذي بدا يظهر ايام فيليب الرابع (١٢٨٥- ١٣١٤) وحرم على البرلمان نظر الشؤون العامة الا بتكليف من الملك، وحوله الى محكمة لنظر القضايا وجرده من سلطته التشريعية والسياسية ونقل سلطة مجالس المديريات الى ايدي الحكومة، وفرض الرقابة الشديدة على الصحف، وبذلك قضى على الحرية السياسية داخل فرنسا.

### ☒ سياسة ريشليو الخارجية

سعى ريشليو الى تحقيق هدفين: الاول سحب الزعامة في اوروبا من اسرة هابسبرج النمساوية وجعلها في اسرة البوربون، والثاني مد املاك فرنسا لتصل الى نهر الراين شرقا وجبال البرانس جنوبا. وقد انتهز حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨- ١٦٤٨) التي كانت حرباً دينية بين الكاثوليك والبروتستنت حيث استهدفت اسرة هابسبورج في النمسا واسبانيا القضاء على المذهب البروتستنتي داخل الامبراطورية، وقام بمساعدة البروتستنت داخل الامبراطورية مع انه كان يحارب الهيجونوت في فرنسا، ودخل الحرب علنا

عام ١٦٣٥ لصالح البروتستنت وبدخوله تغيرت الحرب الى حرب سياسية بين اسرة البوربون واسرة هابسبورج.

وقد مني الجيش الفرنسي بهزيمة في بداية الامر لتفوق الاعداء عليه، ولكن قوة جيوش الامبراطورية تلاشت امام القادة الفرنسيين كوندي Conde وتورين Turnne. وقبل نهاية توفي ريشليو عام ١٦٤٢، وبعده بشهور قليلة مات مليكة لويس الثالث عشر عام ١٦٤٣ تاركاً العرش لابنه الصغير لويس الرابع عشر.

## رابعاً: الملك لويس الرابع عشر (١٦٤٣- ١٧١٥)

عندما توفي لويس الثالث عشر ترك ابنه قاصراً فعينت امه آن Anne النمساوية وصية عليه فقبضت على فرنسا وساعدها في ذلك مزران Mazarin الذي خلف ريشليو في رئاسة الوزارة، وهو ايطالي ماهر، وقد اقتضى اثار سياسة سلفة، ولكن ادارته الداخلية تطرق اليها الخلل والفساد مما ادى الى كراهية اهالي البلاد له، واستياء بعض الطبقات من النظام الاستبدادي. وقد اثار الاهالي حرباً داخلية ضد طريقة حكمه عرفت بحرب الفروند Fronde (١٦٤٨- ١٦٥١) وكان برلمان باريس اكبر مشجع على ذلك وكذلك الاشراف الذين كانوا يسعون الى استرجاع نفوذهم الذي سلبه ريشليو. في النهاية لان العناصر التي قادت الحرب سواء اكانت من اعضاء البرلمان او من الاشراف كانت غير مهيأة للزعامة، وبذلك انقذ مزران البلاد من تلك الفتنة.

واذا حرب الثلاثين عاماً قد انتهت عام ١٦٤٨ واخذت فرنسا بموجب صلح وستفاليا الالزاس بما فيها متز وتول وفردان وبذلك وصلت الى نهر الراين. فان الحرب قد استمرت في الجنوب بين فرنسا واسبانيا حيث اضطرت فرنسا الى ان تقف موقف الدفاع بسبب انشغالها داخليا مما مكن اسبانيا من ان تسترد بعض ما فقدته في الحرب. وبعد انتهاء حرب الفروند عاد مزران الى ميدان الحرب في الاراضي المنخفضة والحق الهزيمة بإسبانيا مما اضطرها الى طلب الصلح.

وبدأت المفاوضات بين الطرفين عام١٦٥٩ووقعا معاهدة البرانس Pryenees التي كانت نذيراً بانتهاء التفوق الاسباني وبداية التفوق الفرنسي. وكان من اهم شروطها ان تستولي فرنسا على ارتوا Artois بالقرب من الاراضي المنخفضة الاسبانية، وعلى روسليون Roussillon الواقعة على منحدرات جبال البرانس، وان يتزوج لويس الرابع عشر ماري نريزا ابنة ملك اسبانيا فيليب الرابع. وقد اعترف لويس بان هذا الزواج لا يترتب عليه اي حق في وراثة عرش اسبانيا، وقد توفي مزران عام ١٦٦١ وكان لويس عندئذ في الثالث والعشرين من عمره.

وبعد وفاة مزران جمع لويس الرابع عشر مقاليد الحكم في يده وعمل على ان يكون سيد فرنسا، وان يجعل فرنسا سيدة اوروبا وبقي يصرف الامور نحو ٥٥ عاماً بعزيمة وقوة وجلد فكان اظهر شخصية بين ملوك اوروبا، وكانوا يلقبونه بالمليك العظيم او ملك الشمس. وكان يسيطر على كافة الامور في كل ارجاء الدولة حتى اصبحت عبارته الشهيرة (انا الدولة) تنطبق عليه تمام الانطباق حيث حول الدولة الى ملكية مطلقة واستحدث نظام الوزارة الحديث.

وتميزت الفترة بين عامي ١٦٦١- ١٦٧١ بانها ازهى فترة في عصره اذا تولى كلبير Colbert وزير المالية اصلاح الخلل في مالية فرنسا وقام بتنظيم الضرائب، وانشاء الشركات التجارية والصناعية، وشجع الصناعات واوجد المستعمرات، وازدادت قوة البلاد البحرية، وحسن طرق المواصلات فاحسن

الشعب بالرخاء واستتب النظام وخطت فرنسا خطوات واسعة في سبيل العظمة التجارية والاستعمارية ولكن لويس انزلق بفرنسا في سلسلة من الحروب الطاحنة.

## ☒ حرب حلف اوجزبرج (البلاتين) ١٦٨٨- ١٦٩٧

في الوقت الذي كان لويس الرابع عشر يواصل سياسته الداخلية في اضطهاد الهيجونوت وحرمان البلاد من خيرة ابنائها واتباع سياسة الاسراف في بناء القصور ومظاهر العظمة والابهة كان اعداؤه يعدون العدة لمواجهته ووقف اطماعه التوسعية ولاسيما بعد ان اتضحت سياسته العدائية للبابا وتحالفه مع السلطان العثماني فكان تحالفهم ضده. ولكن لويس تجاهل هذا التحالف بل انه طالب الامبراطور بتغيير اتفاقية راتشبون وجعلها معاهدة ثابتة بدلاص من تحديد مدتها بعشرين عاماً، ولكن الامبراطور رفض طلبه فانتهز لويس فرصة موت شارل امير البلاتين واعلن ادعاءه بعرش هذه الولاية واعلن الحرب على الامبراطور في سبتمبر ١٦٨٨ فسارعت دول الحلف لمناصرة الامبراطور.

سارع لويس الرابع عشر قبل التئام الحلف بضم البلاتين وقامت قواته بتخريب قراها وتدمير مزارعها. وفي عام ١٦٨٩ اصبحت الحرب بين الطرفين حرباً عامة، وكانت المعارك البرية والبحرية في البداية لصالح لويس وقد امتدت الحرب البرية في اوروبا وانتصر الفرنسيون في ايطاليا وطردوا القائد النمسوي من بيرمونت واستولوا على منس ونامور في الاراضي المنخفضة عامي ١٦٩١، ١٦٩٢.

وحققت فرنسا انتصارات بحرية في البداية حيث انتصرت على الاسطولين الانجليزي والهولندي في معركة راس بتشي Beachy Haad عام ١٦٩٠ ولكن رسل قائد الاسطول الانجليزي تمكن في عام ١٦٩١ من دحر الاسطول الفرنسي في معركة لاهوج La Hague، كما تحققت انتصارات بحرية اخرى عام ١٦٩٢. وعندما ادرك لويس ان السيادة البحرية ستظل لصالح انجلترا صرف النظر عن طموحه في غزو انجلترا واعادة جيمس الثاني المخلوع الى العرش والذي كان مقيماً في ايرلندا.

استغرقت هذه الحرب تسع سنوات حتى انهك الطرفان ولم يعد بمقدورهما مواصلة الحرب بنفس القوة وبخاصة فرنسا التي كان عليها ان تمول حرباً متشعبة الاطراف وتجهيز اربعة جيوش برية بالمؤن والسلاح، فضلاً عن احتياجات الاساطيل الحربية للتسليح والصيانة، وساعد ذلك على التهيئة لمفاوضات الصلح فكانت معاهدة روزويك Ryswick في اكتوبر ١٦٩٧ واتفق على الاتي:

أ- ان تتخلى فرنسا عن كل البلادج التي استولت عليها منذ معاهدة نمجن ما عدا ستراسبورج والالزاس، وان تترك لهولندا تحصين الحصون الواقعة على الحدود الفرنسية لتحفظ حدود بلادها.
ب- ان ينصب كلمنت دوق بافاريا اسقفاً على كلونيا وان يعترف لويس الرابع عشر بحق وليم الثالث في عرش انجلترا.

وتعد هذه المعاهدة ضربة شديدة لفرنسا فقد حطمت الكثير من آمالها، واثرت على سمعتها الحربية واذلت كبرياءها، وان كانت قد وصفت بانها صلح اللاغالب واللامغلوب بسبب مرونة الطرفين. وقد اضطر لويس الرابع عشر الى توقيعها عندما بدت له مشكلة اخرى اكثر اهمية وهي مشكلة الوراثة الاسبانية.

## ☒ حرب الوراثة الاسبانية ١٧٠٢- ١٧١٣

ثارت في اوروبا مشكلة خطيرة بعد تولي شارل الثاني عرش اسبانيا عام ١٦٦٥ لأنه كان سقيم العقل والجسم ايضا، ولم يكن له ولد يرثه من بعده، كما ان وريثيه الاقربين كانتا اختيه احداهما ماريا تريزا التي تزوجت الملك لويس الرابع عشر والاخرى مارجريت تريزا التي زوجها للإمبراطور ليوبولد الاول، وقد انجبت الاخيرة ابنة تزوجت امير بافاريا، ولذلك فقد كانت الدول الاوربية في هلع شديد من اثارة مسالة الوراثة الاسبانية بعد وفاة الملك شارل، وبذلك تشعبت المطالبة بعرش اسبانيا الى ثلاثة فروعك

١- امير بافاريا والذي ادعى الوراثة لأنه ابن اخ ملك اسبانيا، وكان اقل المطالبين نفوذاً ولا يشكل خطرا على التوازي الدولي، ولذلك كانت اوروبا تميل الى جعل الوراثة في ولي عهد بافاريا.
٢- الامبراطور ليوبولد الاول وادعى الوراثة لأنه حفيد فيلب الثالث من ناحية ولأنه تزوج بنت فيلب الرابع من ناحية اخرى، كما تنازلت له ابنته (ماريا انطونيا) عن كل حقوقها قبل ان تتزوج امير بافاريا.
٣- الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا والذي ادعى حق عهده من زوجته ماريا تريزا، ورغم ان لويس قد تنازل عند زواجه منها عن كل حقوقها في عرش اسبانيا الا انه عندما لاحت هذه المشكلة ادعى ان تنازله ليس قانونيا ويعتبر باطلاً وتذرع بإسبانيا وهمية منها ان البرلمان الفرنسي والبرلمان الاسباني لم يعرض عليهما ذلك التنازل ومن ثم لم يصادقا عليه.

وادت هذه الاطماع والادعاءات الى تعقد مسالة الوراثة الاسبانية، ويرجع ذلك الى ان املاك شارل الثاني كانت تشمل الى جانب اسبانيا جزائر البليار والاراضي المنخفضة الاسبانية وميلان ونابولي وصقلية وبعض ثغور على ساحل تسكانيا ومستعمرات واسعة في افريقيا وامريكا وعدة جزر في خليج المكسيك والبحر الكاريبي والمحيط الهادي.

وطبقاً لمبدا التوازن الدولي فان الدول الاوربية في ذلك الوقت لم تكن تقبل اتساع املاك ملك فرنسا او الامبراطور خاصة وان هذا المبدأ يقضي بعدم السماح لأية دولة بزيادة ممتلكاتها في اوروبا زيادة من شأنها احراج مركز الدولة الاخرى. وقد حدثت عدة مناورات سياسية ومحاولات سرية لتقسيم املاك شارل الثاني ولكنها باءت بالفشل لتعارض المصالح بين فرنسا والامبراطور، وقد عمل لويس الرابع عشر على كسب ود وليم الثالث ملك بريطانيا واتفق معه عام ١٦٩٩ على تقسيم الوراثة الاسبانية بحيث يصبح منتخب بافاريا ملكاً على اسبانيا.

وتوفي شارل الثاني بعد شهر من اعلان وصيته في اكتوبر ١٧٠٠ والتي جاءت لمصلحة ملك فرنسا حيث اوصى بان تؤول جميع املاكه الى فيليب دوق انجو حفيد لويس الرابع عشر ثاني اولاد ولي عهد فرنسا، ومن ثم فقد تجاهل لويس معاهدة التقسيم التي ابرمها مع ملك انجلترا وقرر قبول الوصية وارسل حفيده الى اسبانيا ووضع يده على كل شيء ونصبه ملكا على اسبانيا باسم فيليب الخامس، واعلن ان البرانس زالت من بين فرنسا واسبانيا، وبرر لوليم الثالث اسباب نقضه لاتفاقهما.

ومن هنا فقد تزعم ملك انجلترا تعبئة الشعور الاوروبي ضد لويس الرابع عشر ونجح في اقامة التحالف الاعظم The Grand Allianes الذي ضم الى جانب انجلترا هولندا والامبراطور وايدته دوقية براندبج (بروسيا) ثم البرتغال ودوقية سافوي الايطالية وكان ذلك في سبتمبر ١٧٠١ولكنه توفي في عام ١٧٠٢ قبل اندلاع الحرب.

بدأت الحرب عام ١٧٠٢ واستمرت حتى عام ١٧١٣ لأن الطرفين كادت تكون متكافئة ولم يحرز احدهما نصراً حاسماً على الاخر، ووضعت قيادة الحلفاء، في بلنهيم Blenheim في بافاريا عام ١٧٠٤ ورامليس Rmmlies عام ١٧٠٦ واودنارد Odnarde عام ١٧٠٨ وملابلاكية Mulplaquet ٠٩ وفي الاراضي المنخفضة الاسبانية.

وترتب على هذه الانتصارات خسائر كبرى لفرنسا واندحار قواتها في مواقع كثيرة حتى ان لويس الرابع عشر عرض الصلح على الحلفاء، وشجعه على ذلك الملل الذي اصاب الشعب الانجليزي بسبب طول الحرب وتطلعه السلام وبخاصة بعد ان اصبح الحكم في يد حزب التوري (المحافظين) عام ١٧١٠ وكانوا ضد مواصلة الحرب، ولذلك تم استدعاء القائد الانجليزي من المعركة وخرجت انجلترا من الحرب وتبعتها هولندا. كما شجه ايضاً موت الامبراطور جوزيف عام ١٧١١ وتولى عرش الامبراطورية اخوه الارشيدوق شارل الذي كان مرشحا لوراثة العرش في اسبانيا فاصبح من المستحيل على دول اوروبا ان تقبل اتحاد عرش اسبانيا والمانيا في عاهل واحد، هذا فضلا عن تغير الظروف وظهور روح التنافس والشقاق بين اعداء فرنسا، وبذلك قبل الحلفاء الدخول في مفاوضات مع لويس الرابع عشر تمهيداً لقعد الصلح.

وفي ابريل تم توقيع معاهدة اوترخت Utercht وكان من اهم شروطها:

أ- تثبيت فيليب حفيد لويس الرابع عشر ملكاً على اسبانيا واملاكها الامريكية بشرط الا تضم هذه المملكة الى فرنسة في الحاضر والمستقبل.
ب- ان يستولي الامبراطور على نابولي وسردينيا وميلان والاراضي المنخفضة الاسبانية (بلجيكا) واستثنيت من تلك الاراضي المنطقة الصغيرة المعروفة باسم جلدرلند.
ج- يكون لهولندا الحق في تحصين مدن خاصة في الجهة الغربية من الاراضي المنخفضة حماية لبلادها من فرنسا.
د- ان تستولي انجلترا من اسبانيا على جبل طارق وجزيرة منورقة، وان تستولي من فرنسا على نيوفوندلاند ونوفاسكوشيك وخليج هدسن، ونالت من اسبانيا بعض الامتيازات التجارية في المستعمرات الاسبانية.

رفض الامبراطور الموفقة على شروط العاهدة في البداية، ولكنه اضطر الى الخضوع بمقتضى صلح راستاد Rastad سنة ١٧١٤. وكانت هذه المعاهدة بداية عهد جديد، فعلى الرغم من انها اضرت بأحوال فرنسا المالية وبمستعمراتها في امريكا والهند الا انها لم تنزلها عن مكانتها الاولى في اوروبا، ولكن خطرها زال الى الابد، كما تم تعيين فيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر على اسبانيا وتخلى الفرنسيون عن مساعيهم في غزو بلجيكا.

اما انجلترا فقد ظهرتن بعد الحرب كدولة عظمى واصبحت بعد الاستيلاء على قاعدة جبل طارق اعظم قوة في البحر المتوسط، وبذلك وصعت بذور المنافسة الاستعمارية بين فرنسا وانجلترا.

وعلى الرغم مما اصاب فرنسا من جراء هذه الحرب الا انه يمكن القول ان فرنسا احتلت مكانة كبيرة في عهد لويس الرابع عشر فازدهر فيها الادب وتسابق الادباء والشعراء الى بلاط الملك. وظهر في عهده مفكرون وكتاب مثل باسكال وكورني وموليير وراسين، وبعد عصره العصر الذهبي للثقافة الفرنسية.

# الفصل السابع

## حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨- ١٦٤٨)

كانت حرب الثلاثين عاماً هي اول الحروب التي نشبت في اوروبا في القرن السابع عشر، وشارك فيها عدد كبير من الدول الاوربية بفرق عدد الدول التي شاركت في الحرب السابقة. وقد مرت هذه الحرب بأربعة ادوار، كما بدت في البداية ذات صبغة دينية ثم اتضحت ملامحها السياسية وانها حرب سياسية بين الامم التي كانت تريد كل منها خدمة مصالحها الوطنية الخاصة دون النظر الى مستقبل اوروبا الديني.

## اولاً: الاسباب التي ادت الى قيام الحرب

١- فشل صلح اوجزبرج الذي تم في فبراير ١٥٥٥ في ارضاء الكاثوليك والبروتستنت فالإمبراطور فرديناند لم يستطع ان يفرض الكاثوليكية على الشعب الالماني كله، بل انه اضطر الى ترك الحرية لكل حاكم في ولاية او ابرشية ان يختار المذهب الذي يفضله وبذلك فانه كان بمثابة هدنة تتيح لكل طرف ان يحسن مواقعه على حساب الطرف الاخر فكانت املاك الكنيسة الكاثوليكية مطمعاً للبروتستنت، كما ان الحكومات الكاثوليكية كانت تضطهد البروتستنت.

٢- ان صلح اوجزبرج لم ينصف اتباع مذهب كلفن بألمانيا مع ان الكلفنية كانت المذهب الذي اعتنقه الكثير من الالمان، واصبحت المذهب الرسمي لبعض الولايات الالمانية، فقد اقتصرت شروط هذا الصلح على اللوثريين متجاهلة الكلفنيين مما ترتب عليه حقد الاخرين على اللوثريين وادى ذلك الى انقسام الفريقين البروتستين على انفسهما واختلفا في تحديد مبادئ البروتستنتية وشعائرها وذلك في الوقت الذي انتعش فيه المذهب الكاثوليكي.

٣- اختلاف المشكلات الدينية بالدوافع السياسية، فقد كان الامبراطور هو الزعيم الطبيعي للكاثوليكية وحامي حماها في ألمانيا، ولكن الامراء الألمان الذين اختاروا الكاثوليكية مذهباً لولايتهم يخشون من ان تأييدهم للإمبراطور ضد الامراء البروتستنت من شأنه تدعيم سلطانه المطلق على الجميع من حكام كاثوليك وبروتستنت على السواء، ولذلك كان هؤلاء الامراء الكاثوليك الذين يمقتون البروتستنتية يمقتون ايضاً وجود امبراطور قوي.

٤- تدهور العلاقات بين الكاثوليك والبروتستنت في ألمانيا فبعد ان تجمع امراء الشمال والجنوب البروتستنت وكونوا (الاتحاد البروتستنتي) عام ١٦٠٨ للدفاع عن مصالهم المشتركة قام في مواجهته (الحلف الكاثوليكي) عام ١٦٠٩ وانضمت اليه اسبانيا فتهيأ بذلك الجو لاندلاع حرب دينية في المانيا، ومع ذلك فقد نجح بروتستنت بوهيمياً في استخلاص عهد التسامح من الامبراطور رودلف الثاني في عام ١٦٠٩ ولكن الامبراطور متياس- الذي خلفه في الحكم- لم يحترم ذلك العهد فقد حرم بناء دور للعبادة اللوثرية وهدمت احدى الكنائسوسجن وشرد الكثير من البروتستنت الذين قاوموا حركة الاضطهاد الكاثوليكي.

وهكذا بدأت حرب الثلاثين عاما وكانت بوهيميا اول مسرح دارت عليه تلك الحروب الا انها انتشرت بعد ذلك ولم تعد حروباً دينية وحسب بل ما لبثت ان اصبحت حربا دولية بين امم مختلفة قامت تناهض سيادة آل هابسبرج لفظ التوازن في اوروبا.

## ثانياً: الادوار التي مرت بها الحرب

### ١- الدور البوهيمي ١٦١٨- ١٦٢٣

كانت بوهيميا- وهي مملكة ألمانية تتمتع بالاستقلال منذ عام ١٥٢٦- معقلاً من معاقل البروتستنتية، وفي عام ١٦١٨ تم انتخاب فرديناند امير النمسا من اسرة هابسبرج امبراطوراً باسم فرديناند الثاني وكان في الوقت نفسه ملكاً على البوهيميين. ولما كان فرديناند من غلاة المتعصبين للكاثوليكية فقد تأكد للبوهيميين مدى الخطر الذي يحدق بهم وبمذهبهم وبخاصة بعد ان اصدر الامبراطور فرديناند اوامره بهدم بعض الكنائس البروتستنتية.

وازاء ذلك اعترض البوهيميون واحتجوا على هذه المعاملة ولكن الامبراطور اصر على موقفه وانتقض البروتستنت واشتدت المقاومة مما ادى الى ثورتهم في مايو ١٦١٨ والهجوم على قلعة براج مقر الحكومة والقوا القبض على رجال الحكومة الذي ارسلهم الامبراطور والقوا بهم من النافذة تطبيقاً للتقليد الشائع في بوهيميا كتعبير عن المعارضة وكان ذلك بداية الحرب.

وكان البروتستنت يأملون في الحصول على مساعدة خارجية فاتجهوا الى فردريك حاكم ولاية البلاتين وهو احد زعماء البروتستنت ورئيس الاتحاد البروتستنتي وزوج الاميرة إليزابيث ابنة ملك انجلترا فلبى فردريك دعوتهم واذ ذاك اعلن اهل بوهيميا خلع فرديناند الثاني ونادوا بفرديك حاكم البلاتين حاكماً عليهم. وقد قبل فردوريك التاج البوهيمي وتزعم حركتهم ولقب بفردريك الخامس، وعندئذ تحولت هذه الثورة الى حرب اوربية.

قام فردريك باستدعاء قوات من الاتحاد البروتستنتي لمساعدة القوات البوهيمية، وتلقى الامبراطور فرديناند عوناً من البابا واستقدم قوات اسبانية من ميلان وقوات كاثوليكية من دوق مكسيمليان دوق بافاريا ورئيس الحلف المقدس الكاثوليكي.

وفي عام ٨ ابريل ١٦٢٠ التقت قوات الفريقين، وكان عدد القوات الكاثوليكية لا يقل عن خمسين الالف مقاتل بقيادة تلي Tilly ودارت معركة التل الابيض White Hill بالقرب من براغ، ولم تستطع قوات فردريك ان تصمد امام الهجوم الكبير، وقد هرب تاركا قواته لأسوأ مصير وضرب فرديناند بيد من حديد على امراء البروتستنت ونفي عدداً كبيراً منهم، واستخدم البطش ليرغم المواطنين في بوهيميا على اعتناق الكاثوليكية، وترتب على ذلك هجرة الاف الاسر البروتستنتة وتدفق اليسوعيون فأنشأوا فيها ارسالياتهم التبشيرية والمدارس.

وقام الامبراطور فرديناند الثاني بخلع فردريك وطرده من حظيرة الإمبراطورية وبمقتضى السلطة التي يملكها نقل ولاية البلاتين الى مكسيمليان حاكم بافريا وريش الحلف الكلاثوليكي والذي اصبح قوة لا يستهان بها في ألمانيا. وقد تعاطف جيمس الاول ملك انجلترا مع فردريك، ولما كانت سياسته الخارجية تقوم على اساس التفاهم بين اكبر دولة بروتستنتية وهي انجلترا واكبر دولة كاثوليكية وهي اسبانيا من اجل تحقيق السلام في اوروبا، لذلك فانه لم يلجأ الى الحرب وعمل على الوصول الى حل للمسألة بالطرق السلمية وصار يرجو ان تتدخل اسبانيا لفض هذا النزاع في المانيا لصالح صهره- زوج ابنته- فردريك الخامس ناخب البلاتين، ولكن لم يتحقق شيء من ذلك كما تعاطف معه ايضا الدوق شارل عما نويل صاحب سافوي ولكنه اكتفى بتقديم الاموال التي استخدمت لتجنيد جيش من المرتزقة لمساعدة الاتحاد البروتستنتي، وكان هذا الجيش بقيادة مانسفيلد. وقد اخمدت انفاس البروتستنت في النمسا، وكان

لانضمام اللوثريين السكسونيين الى جانب الامبراطور اكبر الاثر في انقصام عري الاتحاد البروتستنتي في عام ١٦٢١ وانتقلت زعامة البروتستنت الى ملك الدنمرك كريستيان الرابع christian فيسنة ١٦٢٥.

## ٢- الدور الدنمركي ١٦٢٥-١٦٢٩

عندما اشتدت المحنة بالبروتستنت في ألمانيا طلبوا معرفة من ملك الدنمرك كرستيان الرابع فاستجاب لطلبهم عام ١٦٢٥، وكان مدفوعاً الى ذلك برغبته في الحصول على بعض المكاسب المادية لأبنائه في شمال المانيا على حساب الجانب الكاثوليكي بالإضافة الى الدافع الديني.

وكانت الدنمرك وانجلترا تتبعان سير الحروب البوهيمية بكل قلق واهتمام. وكان كرستيان الرابع ملك الدنمرك فغي الوقت نفسه دوقاً لإمارة هولشتين وهي ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية، وقد دخل الحرب الى جانب البروتستنت معتمداً على تحالفه مع انجلترا وزعماء المانيا وعلى ما بذله له الوزير الفرنسي ريشليو من وعود بالمساعدة.

وعندما ادرك الامبراطور ان البروتستنت اكثر قوة في هذه المرحلة، رأى وجوب وجود جيش قوي يخضع لقيادته لذلك رحب بفكرة النبيل البوهيمي ولنشتين دوق فريدلند والتي تهدف الى تزويد الامبراطور بجيش يقوم على خدمته ويتولى ولنشتين الانفاق عليه على ان يحظى بالغنائم المادية ويحتفظ الامبراطور بذخائر الحرب، واشترط ولنشتين ان تكون القيادة العليا له وحده رغم وجود تلي القائد القدير للإمبراطور. وقد قبل الامبراطور شرط ولنشتين مضطراً لكسب المعركة ضد البروتستنت.

وكان ولنشتين قائداً حربيا ماهرا، وانفرد بين القواد الالمان في هذه الحرب بعبقريته ونبوغه، فقد جمع جيشاً من المرتزقة وتميز بقدرته الفائقة على التنظيم وبشخصيته القوية التي كانت تلقى الاحترام والتقدير من جنده وقواده واستطاع ان يكسب ولاء هذا الجيش بما كان يجزل له من عطاء وما كان يوقعه من عقوبات صارمة على الخارجين من رجاله، وكان شديد الطموح عظيم الامل في ان يبلغ عرش المانيا.

وفي عام ١٦٢٦ لقى جيش ملك الدنمرك هزيمة منكرة على يد القائد تلي في واقعة لوتر في ثورنجيا، كما انتصر ولنشتين على البروتستنت في عدة مواقع اخرى ونجح في احتلال مكلتبرج ثم بدا في مهاجمة الاراضي الدنماركية فاستولى على هلشتين وشلزويج وجتلند. وحاول ولنشتين بعد ذلك التوسع نحو الساحل لتقوية دفاعه ضد اي غزو محتل من جانب السويد، وفي الوقت نفسه استغلال موارد الموانئ بفرض الضرائب فيها لإعاشة جيشه والإنفاق على مطالب المرتزقة من قواته.

وقد واجه ميناء ستر السند الحصار ورفض الاذعان لما فرضه ولنشتين من مطالب. وقد فشل الحصار البحري الذي دام خمسة اشهر خلال عام ١٦١٨ لان البحر كان مفتوحاً لجلب المساعدات عن طريق الاسطولين الدنمركي والسويدي واضطر ولنشتين الى رفع الحصار، وعلى ذلك ادرك الامبراطور وكرستيان انه لا مفر من الاتفاق وبخاصة بعد ان يئس كرستيان من وصول اية مساعدة فعالة من انجلترا التي وعدة بها ملكها شارل الاول، ولخوف الامبراطور من دخول ملك السويد الحرب الى جانب البروتستنت.

وفي عام ١٩٢٩ عقد صلح لوبيك Lubeck واشترط فيه على ان ترد الى الدنمرك املاكها بعد ان اخذ عليها عهداً لإلا تتدخل مرة اخرى في مشاكل المانيا، وبذلك قوي مركز الامبراطور وشعر البروتستنت انهم اصبحوا تحت رحمة الكاثوليك الذين صمموا من جانبهم على انتهاز الفرصة لتدعيم مركزهم فحرضوا الامبراطور على اصدار (مرسوم الاعادة) الذي خول فيه للكنيسة الرومانية استرجاع

كل الاملاك التي انتزعت منها منذ صلح اوجزبرج عام ١٥٥٥، وقد روع هذا المرسوم جميع البروتستنت لا في المانيا وحدها بل في كل اوروبا وبخاصة حكام الدول التي تخشى اطماع الامبراطور واحلامه في انشاء حكومة آل هابسبرج تمد سلطانها الى اوروبا باسرها.

## ٣- الدور السويدي ١٦٣٠- ١٦٣٥

اخذ ريشليو الذي كان قد سيطر على السياسة الفرنسية يلاحظ في قلق متزايد نفوذ الامبراطور وانتصارات الكاثوليك مما جعله يقرر ضرورة التدخل حتى لا تتفوق قوى آل هابسبرج على البوربون وذلك بالعمل على ايقاف تلك الانتصارات، وراى في بادئ الامر اتباع السرية في اجراءاته فشجع جويتاف ادولف Gustavus Adolvus ملك السويد على مساندة بروتستنت المانيا ضد الكاثوليك بسبب انشغاله بكسر شوكة اشراف فرنسا من جهة وقمع حركة الهجونت من جهة اخرى، واجرى ريشليو اتصالات مع بعض الولايات الكاثوليكية الالمانية لإثارتهم الامبراطور مستغلاً المخاوف التي تراودهم تجاه عزم الامبراطور على ان تكون السلطة الالمانية مركزة كلها في يده.

وكان جوستاف ادولف ملك السويد من اعظم القوا الاوروبيين في القرن السابع عشر وحاكماً قديراً استطاع جمع الشعب السويدي تحت لوائه وتكوين جيش جهزه بأحدث الاسلحة ودربه على ايدي خبراء من العسكريين الهولنديين.

وقد دفعته الى القيام بمغامرته الحربية ضد الامبراطورية حماسته الدينية وغيرته على طائفة البروتستنت الذين كانوا يعيشون في مأساة كبرى عقب هزيمتهم في المانيا نفسه كانت سياسته تهدف الى حماية بحر البلطيق والسيطرة عليه حيث كانت الممتلكات السويدية تمتد على ساحله الشرقي. وكان يعتقد ان انتصار الامبراطور في المانيا على البروتستنت قد يدفعه الى القيام بمغامرة حربية ضد دولة السويد البروتستنتية في شمال المانيا، واخيرا فقد كان يتطلع الى ان الانتصار على الامبراطور قد يؤدي الى استيلاء السويد على شريط من الاراض على الساحل الشمالي لالمانيا وعندئذ يصبح بحر البلطيق بحيرة سويدية.

وفي يونيو ١٦٣٠ نزل جوستاف ادولف بقواته في المانيا وتعلقت به آمال البروتستنت واعتقد ان امراء الولايات البروتستنتية سيساعدونه بالانضمام اليه لالا ان اميراً سكسونيا وبراندنبرج رفضا التعاون معه. وعندما تقدم جوستاف الى مجربرج لنجدتها من الحصار الذي يفرضه القائد الامبراطوري تلي فقد رفض السابقان السماح لقواته بالمرور عبر ولايتيهما للوصول الى مجدبرج مما مكن قوات الامبراطور من اكتساحها قبل ان ينقذها الجيش السويدي، وقد ارتكبت قوات الامبراطور الفظائع والمجازر. وعندما تقدم لغزو سكسونيا اسرع اميرها بالاتصال بجوستاف ادولف للاستنجاد به والتعهد بأن يكون حليفا مخلصا له، وتبع ذلك انضمام امير براندنبرج للمعركة.

تقدم جوستاف ادولف نحو ليبزج معاونة ضد قوات تلي وتقابل الجيشان عند ضاحية بريتفلد بالقرب من ليبزج في سبتمبر ١٦٣١ وهنا ظهرت مقدرة جوستاف الحربية وكفاءة جيوشه المدربة وانهزم امامه قواد الامبراطور وثم قتل واسر عشرات الالاف من جنود الامبراطور.

وتبع ذلك تقدم جوستاف نحو الغرب في الاراضي الالمانية مستولياص على عدة مدن، وحاول تلي مقاومة الهجوم السويدي. وقد تمكن جوستاف من تحقيق النصر عليه في موقعه على نهر لخ Lech

احد روافد نهر الدانوب حيث جرح تلي جرحاص مميتاً لم يمهله اكثر من اسبوعين، واضطرت جيوشه الى التقهقر مما مكن جوستاف من التقدم نحو ميونخ عاصمة بافاريا.

وازاء ذلك اضطر الامبراطور الى استدعاء القائد ولنشتين بعد ان كان قد عزله عام ١٦٣٠ لتظلم المواطنين من عبث جنوده المرتزقة ولصلفه وكبريائه وتحريض الامراء للإمبراطور ضده وبخاصة بعد زيادة قوات ملك السويد وانضمام الكثيرين من الالمان اليه. وقد اشترط ولنشتين عدة شروط كان من اهمها:

أ- ان يكون للإمبراطور جيش واحد يكون هو صاحب الكلمة العليا عليه.
ب- ان تترك له حرية التصرف في البلاد التي يدخلها والغنائم التي تستولي عليها قواته.
ج- إلغاء مرسوم الاعادة ١٦٣٠ الذي قال عنه ولنشتين انه ينافي مبادئه ومبادئ جيشه في التسامح الديني.

ولم ير الامبراطور فرديناند بدأ من قبول شروط ولنشتين رغم ما فيها من مساس بهيبته وكرامته.

وفي ١٦ نوفمبر ١٦٣٢ التقت قوات جوستاف وقوات ولنشتين التي بلغت (٦٠) الفا في موقعة لوتزن Lutzen وقد تشتت اثناءها جيش وانشتين وهزم هزيمة ساحقة الا ان الجيش السويدي فقد قائده وملكه جوستاف جرحه جرحاً مميتاً ثم اجهز عليه الاعداء وخلفه اكسنستيرن Oxenstiern.

وتراجع ولنشتين الى بوهيميا ليحاول جمع فلول جيشه المنهزم واخذ في اعادة تنظيمه وترتيبه، ولكنه لقي حتفه في ٢٥ فبراير ١٦٣٤ على يد احد الجنود الايرلنديين بعد ان قرر الامبراطور عزله عن قيادة الجيش واباح قتله لأنه كان لا يزال مزهواً بقواته وبانه صاحب الكلمة العليا في المانيا ولأنه فكر في عقد صلح مع الوصي على العرش السويد سرا وغضب الامبراطور من تصرفاته واتهمه بالاتصال بالعدو وتولى قيادة الجيش فرديناند ابن الإمبراطور وكان ملكاً على المجر.

ودارت معركة في نوردلنجن Nordingen في ٦ اكتوبر ١٦٣٤ هزم فيها الجيش السويدي هزيمة ساحقة، ونتج عن ذلك خروج سكسونيا من الحرب حيث عقد صلح براغ في نمايو ١٦٣٥ بين الامبراطور وسكسونيا وحذت حذوها الولايات البروتستنتية الالمانية الاخرى وسحبت تأييدها للتدخل وفي المقابل فقد الغى الإمبراطور معظم بنود مرسوم الاعادة لتهدئة روع البروتستنت وتأمينهم على حياتهم الاقتصادية، وبدت الحروب الدينية انها على وشك الانتهاء ولكن حرب الثلاثين عاماً كانت لا تزال مشتعلة.

## ٤- الدور الفرنسي- السويدي ١٦٣٥- ١٦٤٨

كانت فرنسا تكتفي في الدور السابق بمد يد المساعدة المالية الى السويد، ولكن ريشليو قرر ارسال جيش فرنسي الى الميدان لمهاجمة جيش الامبراطور في الجبهة الغربية، وفي الوقت نفسه اعلن الحرب على اسبانيا التي يحكمها الفرع الثاني من اسرة هابسبرج حيث انه كان يريد انزوال اسرة هابسبرج من مركز الزعامة في اوروبا ونقل هذا المركز الى فرنسا. وهكذا فانه يمكن التأكيد على ان هذا الدور كان هدفه المصلحة السياسية دون اية دوافع اخرى.

ولم يكن غزاة المانيا البروتستنتية في هذا الدور من الكاثوليك فقط بل كانوا يتألفون من المذهبين، وعلى الرغم من ان ريشليو كان كاردينالاً كاثوليكياً تابعاص للكنيسة الرومانية الا انه ادى استعداده للوقوف الى جانب البروتستنت لتحقيق اهدافه السياسية.

واتسمت الحرب في هذا الدور بانها حرب دولية ذات اهداف سياسة بعيدة، فقد حاول ريشليو ان يضم الى جانبه جميع اعداء آل هابسبرج ممن يستطيعون القيام بالعون الحربي الفعال وعلى الاخص ضد الفرع الاسباني العدو الاول لفرنسا وذلك لأضعاف سيطرة اسبانيا على الارض المنخفضة الاسبانية لان وجودها بها يمثل تهديداً دائما للعاصمة لفرنسية. وفي عام ١٦٣٥ قام بعقد تحالف مع الهولنديين الثائرين الذين جددوا حرب الاستقلال بعد انتهاء الهدنة التي عقدت عام ١٦٢١ لمدة اثني عشر عاماً.

وكان خطة ريشليو الزحف بجيشه عبر نهر الراين وان يزحف الجيش السويدي من قواعده على بحر البلطيق جنوباً داخل الاراضي الالمانية لمحاصرة قوات الامبراطور. وقد صمم الاخير على المقاومة رغم ضعف التأييد كان الذي يحظى به ورغم انتصاره في بعض المواقع في البداية الا ان توالي الهجمات الفرنسية بقيادة الامير كنديه Conde والقائد الكبير تورين Turenne وانتصارها عليه في عدة مواقع كان اهمها ركووا Rocroy في الاراضي المنخفضة وكذلك الانتصارات السويدية جعلت الامبراطور يدرك سوء المصير وبخاصة بعد ان اصيبت المانيا بأضرار بليغة من جراء الحرب فقد تحولت بعض المدن والقرى الى انقاض، وتحطمت الحياة الزراعية، وانتشرت المجاعة وتفشت الاوبئة والطاعون.

وقد توفى الامبراطور في عام ١٦٣٧ اي قبل نهاية الحرب وخلفه ابنه فرديناند الثالث (١٦٣٧-١٦٥٧) الذي شهد هزيمة المانيا وتحول الحرب الى حرب دولية فوق اراضي المانيا التي ساد شعبها الاستياء تجاه الغزو الاجنبي مما اضطره الى الدخول في مفاوضات الصلح مع اعدائه المنتصرين لإيجاد تسوية نهائية ولإصلاح الامبراطورية الرومانية المقدسة، وبعد مفاوضات طويلة تم عقد صلح وستفاليا Westphalia عام ١٦٤٨.

## ثالثاً: صلح وستفاليا ١٦٤٨

بدأت محاة وستفاليا الواقعة في حوض الراين الاسفل في المدينتين مونستر Munster واسنابروك Osnabruck وطالبت فرنسا والسويد باشتراك الولايات الالمانية في المفاوضات كل منها على انفراد بقصد تفتيت القوى. ورغم مقاومة الامبراطور لتلك الفكرة الا انه لم يستطع فرض ارادته وازدحمت وستفاليا بمئات الدبلوماسيين والمفاوضين من راطورية وممثلي الولايات والحكومات من الاسبان والفرنسيين والسويسريين والهولنديين والبرتغاليين والبنادقة، كما حضره عدد كبير من الايطاليين وممثل عن البابا، وبذلك اصبح المؤثر اوروبيا يمثل كافة الجهات.

وفي الوقت الذي كانت المفاوضات المبدئية جارية كانت الجيوش لا تزال تقاتل في الميدان، ولذلك كانت الشروط التي يعرضها كل فريق تتغير وتتبدل بعد كل معركة ونتج عن ذلك ان تعثرت المفاوضات في البداية، ثم استؤنفت بعد ذلك بالشروط التي الاتفاق عليها ومن اهمها:

### ١. الناحية الدينية

أ- ألغى الصلح الصراع الديني واقر المذهب البروتستنتي كعقيدة معتلاف بها الى جانب الكاثوليكية.

ب- تأكيد شروط صلح اوجزبرج عام ١٥٥٥ والاعتراف بمذهب كلفن وان يتمتع اتباع لوثر وكلفن على السواء بالحرية الدجينية في جميع انحاء الامبراطورية.

ج- استرداد رجال الدين البروتستنت ما انتزع منهم من املاك قبل عام ١٦٢٤، وبذلك اصبح الكاثوليك والبروتستنت يحفظون بأملاكهم التي كانت في ايديهم منذ ذلك التاريخ.

د- ليس اجبار رعاياه على اتباع المذهب الذي يروق له وبذلك صارت حرية اختيار المذهب الديني حقاً للمحكومين وليس للحاكم، ومع ان هذا الصلح لم يعترف رسمياً بحرية العقيدة الا انها استقرت بمرور الايام.

هـ- اعادة تنظيم المجلس الامبراطوري بنسبة واحدة من الكاثوليك والبروتستنت وبذلك حقق الصلح للبروتستنت المحافظة على كرمزهم ومصالهم.

وهكذا كتب للعقيدة الجديدة ان تحيا وتبقى، ومع ذلك فقد ظل جنوب المانيا وغربها كاثوليكيا. بينما بقي شمال المانيا بروتستنتيا على مذهبي لوثر وكلفن، وقد انتشر المذهبات خارج المانيا.

## ٢. الناحية السياسية

أ- ان تستولي السويد على اسقفيتي بريمن Bremen وفردن Verden واستطاعت بذلك ان تسيطر على انهار الاودر والالب Elbe والفيزر Weser، وانفتح بذلك امامها الطريق لتوسع من نفوذها في شمال المانيا مما جعلها تتمتع بمركز عظيم في حوض بحر البلطيق وفي الشؤون الالمانية، وقد احتفظت ببيوميرانيا الغربية Pomerania، وبذلك نجحت السويد في تثبيت اقدامها عند مصاب الانهار الشمالية.

ب- تستولي براندجنبرج Brandenbenburg الواقعة في قلب الامبراطورية على بوميرانيا الشرقية بتنازل من السويد وعلى ومينذن ومعظم اقليم مجدبرج Magdebarg. وهكذا اصبح لبراندنبرج شأن عظيم لاسيما وانها نالت استقلالها مما اضعف كيان الامبراطورية، وانتقلت زعامة البروتنستنت بهذا الاتساع من امير سكسونيا الى اميربراندنبرج.

ج- ان تحتفظ بافاريا بالبلاتين العليا Upper Palatinate، وبذلك اتسعت مساحتها مما جعل لها الزعامة على الولايات الالمانية الجنوبية، كما ثبت دوق بافاريا نفسه كمنتخب لبافاريا وحق اسرته فيها وأعيدت البلاتين الادنى الى ابن فردريك بومهيميا السابق ويدعى شارل لويس Charles-Louis (١٦١٧- ١٦٨٠) وضمت سكسونيا (أوشاسيا).

د- ان يبقى في يد فرنسا متز Metz وتول Toul وفردان Verdun وتضم معظم الالزاس ما عدا مدينة ستراسبورج الحرة، وبذلك اصبح لفرنسا السيطرة على اعالي الراين.

هـ- اعلن هذا الصلح رسيماً استقلال هولندا وسويسرا، وكانتا تتمتعان بذلك الاستقلال منذ اعوام.

وبرغم ما انطوت عليه مواد معاهدة او صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ - والذي استمر التفاوض حولها عدة سنوات - من مظاهر الجد فانها لم تكن وحدها هي فصل الختام، فقد كانت نتائج الحرب شديدة الاثر على المانيا فقد فقدت الكثير من الولايات التي تشكل حدودها فلم تعد هولندا وسويسرا تابعتين للامبراطور، وانقسمت المانيا على ما يزيد على مائتي ولاية او امارة، واصبح كل امير يدعى استقلاله في امارته، كما فقدت المانيا نحو ثلثي سكانها فلم يبق من سكان بومهيميا سوى الربع، ولم يبق من سكان برلين سوى ما يماثل ذلك وتتمثل اكبر الخسائر في احد احياء ثورنجيا Thuringia حيث قضى على ما

يزيد على اربعة الاف راس من الغنم ومعظم الانفس والدور وتدهور المجتمع الالماني تدهوراً يتضح في سلوكه وثروته وثقافته. وكان لذلك اثره في تأخير استكمال الاتحاد الالماني وتكوين الدولة القومية ما يزيد على قرنين وبخاصة بعد ان نال امراء المانيا من الامتيازات التي خولت لهم اماراتهم من الناحية القانونية في حكم المستقلة.

واظهر صلح وستفاليا ان الامبراطورية لم تكن لها كيان الامبراطوريات الموحدة، ولم تعد سوى اتحاد ضعيف بين حكومات منها الكبير والصغير، ولم تعد هناك سلطة مركزية تستطيع سن القوانين وتجنيد الجيوش وفرض الضرائب، ولم يكن تشبث الامبراطورية بالسيطرة على المانيا جميعا بتمثل في غير سلطة اسمية فبعد استقلال سكسونيا وبافاريا اقتصر نفوذ اباطرة اسرة هابسبرج على املاكهم الوراثية، ولما كان غالبية سكان هذه البقاع من غير الالمان فلم تعد لهم سيطرة على الالمان.

وبعد هذا الصلح نهاية لعصر الاصلاح الديني، فقد اصبح الوضع الديني واضحاً حيث قضى على امل المصلحين الاوائل في تحطيم الكاثوليكية الرومانية التي تتبع روما وكذلك حركة الثورة المضادة في اعادة الولاء المطلق للبابا وكنيسة روما، ومن ثم فقد بقي المذهبان جنبا الى جنب في اوروبا وساد مبدأ التسامح الذي فرضته الدول المتقدمة على رعاياها.

واذا كان صلح وستفاليا قد انهى الحرب بين فرنسا والمانيا فانه لم ينه الحرب بين فرنسا واسبانيا، تلك الحرب التي استمرت احد عشر عاماً بعد ذلك وانتهت بصلح البرانس عام ١٦٥٩.